السردية الصهيونية حول فلسطين: دراسة نقدية تاريخية

The Zionist narrative about Palestine: a historical critical study

د. صديقي عبد الجبار[1]

المركز الجامعي نور البشير، البيض، الجزائر.
a.seddiki@cu-elbayadh.dz

تاريخ الوصول 2024/02/14 القبول 2024/03/18 النشر على الخط 2024/06/01
Received 14/02/2024 Accepted 18/03/2024 Published online 01/06/2024

الملخص:

تأتي هذه الورقة البحثية ضمن جهود مواجهة السردية الصهيونية حول فلسطين في شقها التاريخي وذلك بقصد مقاومة الحرب متعددة الأبعاد التي تخوضها الصهيونية العالمية على فلسطين تاريخا وشعبا وأرضا، وعليه فعملنا هذا يستهدف استظهار أبرز السرديات التاريخية المؤسسة للكيان الصهيوني وإخضاعها لميزان النقد والتاريخ لتفكيك الدعائم والقواعد التي بنيت علبها وإظهار مواطن الخلل فيها، كما أن هذا العمل يستهدف كذلك إظهار السبل والأدوات التي استخدمت لنشر السردية الصهيونية والتمكين لها وكيفية مواجهتها بطرق منهجية علمية ناجعة كفيلة بإظهار الوجه الدموي الإجرامي العنصري للحركة الصهيونية.

الكلمات المفتاحية: السردية، الصهيونية، فلسطين، مقاومة، التاريخ.

Abstract:

This research paper comes within the efforts to confront the Zionist narrative about Palestine in its historical aspect. This is a part of the efforts to resist the multi-dimensional war that international Zionism is waging against Palestine, its history, people, and land. Accordingly, our work aims to highlight the most prominent historical narratives that founded the Zionist entity and subject them to the balance of criticism and history to dismantle the pillars.This work also aims to show the ways and tools that were used to spread the Zionist narrative and empower it, and how to confront it with effective scientific methods capable of revealing the bloody, criminal, racist face of the Zionist movement.

Keywords: Narrative, Zionism, Palestine, resistance, history.

[1] المؤلف المراسل: **صديقي عبد الجبار** البريد الالكتروني: **a.seddiki@cu-elbayadh.dz**

1- مقدمة

منذ المرحلة الأولى لتأسيس الكيان الصهيويني على أرض فلسطين شرع زعماء الحركة الصهيونية ضمن استراتجية متعددة الأبعاد في العمل على خلق سرديات تاريخية مؤسسة له بكل السبل الممكنة من أجل خلق هوية لهذا الكيان السياسي غير المنسجم مع محيطه الاجتماعي والجيوسياسيمن جهة، وشرعنة الاحتلال واقناع الطيف اليهودي في مختلف البلدان بالقدوم إلى أرض فلسطين من جهة أخرى، ولتحقيق هذا المقصد اعتمد الصهاينة على الموروث اليهودي المقدس كمصدر تاريخي أساسي ومن ثم جاء العمل على مشاريع بحث في الآثار والتاريخ لإثبات ما ورد من نصوص في كتب اليهود المقدسة.

ورغم أن السردية الصهيونية في بدايتها إنطلقت ضعيفة حتى في الأوساط اليهودية إلا أن العمل الدؤوب والتخطيط والامكانيات التي سخرت من أجل التمكين لها جعلها في النهاية تتغلغل وتنتشر بشكل واسع ليس في الأوساط اليهودية فقط بل حتى في بين النخب الغربية الحاكمة، حدث كل هذا في مقابل غفلة وتهاون وعدم المسؤولية من طرف المسلمين الذين لم ينتبه بعضهم إلا متأخرا لهذه المعركة المهمة.

يأتي موضوع هذه الورقة في سياق حرب السرديات التي يخوضها المحتل الصهيوني ضد كل ما هو فلسطيني وجهود مقاومتها باعتبارها ساحة معركة لا تقل أهمية عن ساحات المواجهة الأخرى، وعليه تمحورت إشكالية موضوعنا هذا حول السردية الصهيونية من حيث منطلقاتها وأسسها وقيمتها العلمية وأهدافها وكيفية مواجهتها، وهو ما يدفعنا إلى طرح التساؤلات التالية: ما هي أهم السرديات التاريخية المؤسسة للكيان الصهيوني؟ ما حقيقتها وقيمتها العلمية؟ ما هي أدواتها وطرق نشرها؟ كيف يمكن مواجهتها وتفكيكها؟

2- أهم السرديات الصهيونية

2-1 فلسطين حق إلهي لليهود

تعد سردية فلسطين أرضا موعودة من الله لليهود من الروايات الأولى المؤسسة للحركة الصهيونية التي انطلقت منها كقاعدة لتجميع اليهود في هذه الأرض وإقامة وطن قومي عليها، ففلسطين في المنظور الصهيوني حق يهودي من عهد الآباء، إبراهيم وسليمان وداوود لذلك يروج الصهاينة إلى فكرة أن كل يهودي يحق له حق المجيء إلى فلسطين والعيش فيها مهما كانت جنسيته أو موطنه[1].

وقد عملت الصهيونية خلال عقود على نشر هذه السردية رغم معارضة غالبية اليهود لهذا الطرح في البداية باعتبار أن النص التلمودي المقدس يحرم عليهم العودة إلى هذه الأرض إلا بعد قيام المسيح، ناهيك بأن الرواية التاريخية لا تؤيد ما يطرحه الصهيونية فهذه الأرض أرض عامرة قبل قدوم إبراهيم – عليه السلام- في الفترة ما بين 1900-1850 ق.م مهاجرا إليها من بلاد ما بين النهرين فالكنعانيون والحبوسيون العموريون قطنوا هذه الأرض قبل قدومه -عليه السلام- إليها وحتى عندما حل بها وصفها بأرض غربة ، أما قيام الممالك اليهودية في أجزاء من أرض فلسطين لا يقوم دليل على حق اليهود في هذه الأرض لأنهم لم يكونوا الشعب الوحيد الذي أقام عليها كيانا سياسيا كما أن فترة قيام دولتهم لم تكن بالفترة الأطول مقارنة بحضارات وأقوام أخرين إذ لم تتجاوز في أعلى تقدير أربعة قرون في الفترة ما بين1000 و586م مقارنة بالحكم الإسلامي الذي استمر 1200 سنة من 636م إلى

---

[1] - نجيب نصار، الصهيونة، ملخص تاريخها، غايتها، امتدادها حتى 1905، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012، ص11

1917م باستثناء فترة السيطرة الصليبية التي دامت 90 سنة فضلا عن بقية الأمم والحضارات والشعوب التي حكمت فلسطين أو قطنتها من الآشوريين والبابليين والفرس والرومان[1].

ويذهب عدد من المؤرخين وعلماء الآثار إلى أبعد من ذلك بقولهم أن تلك الكيانات التي أسسها اليهود في أرض فلسطين لم تتجاوز حد المشيخات القبلية البدوية البسيطة وأنها لم تبلغ يوما درجة الممالك أو الحضارة العظيمة كما تصورها النصوص الدينية اليهودية التي لا تستند في مصداقيتها على أسس منهجية علمية، وهذا ما أشار له حتى بعض الباحثين اليهود أنفسهم كالفيلسوف باروخ سبينوزا الذي ذهب إلى اعتبار أن التلمود لم يكتب على يد موسى –عليه السلام– وأن كل ما كتب مجرد روايات شفوية كتبت بعده بقرون.

ورغم أن الحركة الصهيونية لم تغفل الجانب البحثي الذي سخرت له إمكانات معتبرة خصصت للبحوث التاريخية والأثرية إلا أن ذلك لم يفض في النهاية إلى أي حقائق قطعية تدعم سردياتهم التي تراوحت بين الكذب والتلفيق بل إن جهود أكثر من قرن في مجال البحث الأثري جعلت عددا من اليهود يتوصلون إلى حقيقة أن النصوص التلمودية التي اعتمدت عليها الصهيونية في بناء سردياتها التاريخية مجرد أساطير لا أساس لها من الصحة وهو ما ذكره حرفيا عالم الانتروبولوجيا اليهودي زييف هيزونغ عندما ذكر أن أعمال الأنبياء اليهود أسطورية لا توجد آثار تدل عليها.

أدت البحوث الأثرية التي قادها الصهاينة خلال عقود إلى نتائج كارثية على سردياتهم ف مثلا الجرة المشهورة التي إكتشفت في أكثر من موقع في فلسطين يذهب أغلب علماء الآثار إلى القول أنها تعود إلى السكان المحليين من المزارعين لأن حجمها لا يتناسب وطبيعة حياة اليهود في أرض فلسطين خلال تلك الفترة التي غلب عليها الطابع البدوي أي أنها لا تتناسب ونمط عيشهم الذي يعتمد على الترحال وهو ما يناقض الروايات الصهيونية بل ويثبت حق الفلسطينين في هذه الأرض، كما أن انعدام الدليل الأثري بصفة عامة يعد ضربة قاتلة للسردية الصهيونية التي صورت تاريخ الأجداد على أساس أنه حضارات لا مثيل لها في حين تعج بلاد مصر والرافدين بآلاف القطع الأثرية وهي ليست إلا على مرمى حجر من مكان قيام حضارتهم المزعومة[2].

من جهة أخرى يعد حق العودة من المفاهيم غير المنطقية التي لا أساس لها في الواقع ولا في القانون الدولي، ويكفي أن نطرح السؤال التالي: هل يحق للمسلمين أن يطالبوا بإسبانيا والبرتغال لأنهم حكموها مدة تسعة قرون في فترة ما؟ أو هل يحق للإيطاليين أن يطالبوا بحقهم في العودة لبريطانيا لأنهم سيطروا عليها مدة أربع قرون وبنوا فيها مدن بما فيها العاصمة لندن؟ ناهيك بأن كل هؤلاء الصهاينة الذين استوطنوا فلسطين بناء على مفهوم حق العودة من أعراق مختلفة سلافية وأوروبية وإفريقية لا علاقة لها بالمنطقة في حين أن اليهود الذين استوطنوا فلسطين حقا هم العبرانيون الذين لا يمثلون سوى 02 % من التعداد البشري الحالي في الكيان الصهيوني[3]، وعليه ما حدث في فلسطين هو عبارة عن استعمار استيطاني إجرامي على الطريقة الغربية بمبررات تاريخية ودينية واهية.

[1] – مسعود كواتي، اليهود في المغرب الاسلامي من الفتح الى سقوط دولة الموحدين، دار هومة، الجزائر، 2009، ص23-43

[2] – محمد مرقطن، أنبياء اليهود في السردية الصهيوينة وأذنابها العرب، https://www.youtube.com/live/X8pbfsPxaN4?si=h94sTs5LW5_KyReO، 2024/01/18، 10:15

[3] – إيلان بابيه، عشرة خرفات عن إسرائيل، تر: سارة عبد الحميد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2018، ص16

2-2 أرض بلا شعب لشعب بلا أرض

عندما حل الاستعمار الاستيطاني الغربي في أمريكا الشمالية وأستراليا وغيرها من المناطق ادعى أن هذه الأراضي خالية وأن الأوروبيين هم أول من اكتشفها لذلك هم أولى باستيطانها ضمن ما أسموه الكشوف الجغرافية في حين كان الوقع احتلال غاشم وإبادة للسكان الأصليين ومن ثم استبدالهم بمواطنين أوروبيين، وعلى نفس النهج استنسخ الصهاينة سردية تقول بأن فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض في واحدة من أكذب وأغرب الرويات على مر التاريخ، فأرض فلسطين كما هو مثبت تاريخيا وأثريا وكما أشرنا سابقا أرض عامرة عبر التاريخ قبل وبعد قدوم اليهود لها كطارئين، وليس غريبا أن يروج الصهاينة لهذه الرواية المكذوبة والمفضوحة تاريخيا في إعادة رسكلة للتجربة الأوروبية فكلاهما نشأ وترعرع في منظومة حضارية واحدة هي الحضارة الغربية المادية الاستغلالية المتوحشة، التي لا تهمها الحقيقة أو الحق بقدر ما يهمها صناعة رأي عام داخلي مؤيد لسياستها الخارجية التوسعية الإمبريالية.

أما من الناحية الإحصائية والديمغرافية فقد بلغ عدد السكان في فلسطين سنة 1914م حوالي 600 ألف نسمة قبل الانتداب البريطاني ووعد بلفور المشؤوم سنة 1917م في مقابل ذلك شكل اليهود منهم نسبة 2 % مع العلم أنهم من اليهود العبرانيين الذين استقروا فيها عبر العصور وليسوا مهاجرين، وعليه من أين أتى الصهاينة بمفهوم أرض بلا شعب؟ أما في سنة 1948م تاريخ إعلان نشأة الكيان الغاصب بلغ عدد الفلسطينيين 1.4 مليون ومعها بدأت مرحلة من التهجير والإجرام في حق الفلسطينيين من أجل ترك أرضهم، بداية من النكبة إلى غاية نكسة 1967م حيث تراجع عددهم إلى 470 ألف في حين هجر ونفي الملايين إلى الدول المجاورة[1].

أما الشطر الثاني من هذه السردية القائل بأن اليهود شعب بلا أرض فهو كذلك ادعاء ملفق مفضوح فاليهود الذين هاجروا إلى فلسطين لديهم أوطان ولهم فيها مصالح وامتيازات تفوق أحيانا تلك التي يتحصلون عليها في الكيان الغاصب، فهم مواطنون لهم كامل الامتيازات والحقوق في بلدانهم الأصلية سواء في دول شرق أوروبا أو الولايات المتحدة الأمريكية أو المغرب الأقصى أو إثيوبيا أو غيرها، ومن ذلك أن أغلب سكان الكيان الصهيوني اليوم لديهم جنسيات البلدان التي جاءوا منها حتى أنه بعضهم يهرع إلى العودة مع كل توتر يحدث في على الأراضي الفلسطينية وهو شاهد آخر بأنهم مجرد طارئين على هذه البلاد تم غرسهم بالنار والحديد والإجرام.

3-2 الفلسطينيون تركوا أرضهم

من غرائب السرديات التي تروج لها آلات الدعاية الصهيونية ومن يسير في ركابها من بعض النخب المرتبطة بالطبقة الحاكمة في الدول العربية التي اختارت نهج التطبيع مع الكيان الغاصب قولهم أن الفلسطينيين تركوا أرضهم وهاجروا، وأن أغلبهم تلقى مقابل مادي من أجل ترك أرضه رغم أن الشواهد التاريخية على تمسك الفلسطينيين بأرضهم لا حصر لها بداية من المقاومة الشرسة للتوسع البريطاني في غزة والذي لم يدخلها إلا بعد ثلاث محاولات سنة 1917م تعرضت فيها القوات الغازية للهزيمتين متتاليتين، ناهيك بأن

[1] – إيلان بابيه، التطهير العرقي في فلسطين، تر: أحمد خليفة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2006، ص39، 44، 45، 49

الفلسطينيون ثاروا عدة مرات ضد الاحتلال البريطاني الذي كان في صيغة انتداب أي أقل بشاعة وخطورة من الاستعمار الاستيطاني الذي انتهجه الصهاينة بعد ذلك، ونذكر من هذه الثورات ثورة البراق سنة 1929م وثورة سنة 1936م[1].

من ناحية أخرى تبنى البريطانيون المشروع الصهيوني في إقامة وطن قومي لليهود على أرض فلسطين ورعوه حق الرعاية سواء من خلال وعد بلفور 1917م وتعيين صديق الصهيونية هاربرت صامويل مندوبا على فلسطين ثم عمليا عبر تشجيع هجرة اليهود إليها من مناطق مختلفة في العالم، أو عن طريق تمليك اليهود للأراضي الفلسطينية بأوجه وطرق مختلفة كان أبرزها قانون باتريك وولف القائم على مسح الأراضي الفلسطينية ثم بيع غير المملوكة منها لليهود، وفرض ضرائب باهظة على المزارعين الفلسطينيين من أجل دفعهم إلى التخلي عن أراضيهم أو بيعها، ومنح قروض بنكية بفوائد مرتفعة ثم مصادرة أراضي الفلسطينيين المتخلفين عن سداد تلك القروض.

ومن الخطط التي اعتمدها الاحتلال البريطاني بالتعاون مع الصهاينة من أجل تجريد الفلسطينيين من أرضهم، شراء الأراضي الفلسطينية التي كانت تملكها عائلات أرستقراطية مرتبطة بالاحتلال البريطاني كعائلة السرسق اللبنانية المسيحية، وتجدر الإشارة هنا إلى أنه وعلى الرغم من كل هذه الإجراءات التعسفية التي تهدف إلى تجريد الفلسطينيين من أرضهم لم يتجاوز حجم الأراضي المملوكة من الطرف اليهود عند نهاية الانتداب نسبة 07%[2].

ومع تأكد الصهاينة من استحالة تجريد الفلسطينيين من أراضيهم انتقلوا إلى مرحلة أخرى كان عنوانها الأجرام والإرهاب كسبيل وحيد لإخراج الفلسطينيين من أراضيهم لتبدأ بذلك حلقة جديدة من التهجير القصري للفلسطينيين قادته العصابات الإرهابية الصهيونية بدأ من نكبة 1948م مرورا بمجازر دير ياسين واللد سنة 1948م ومجازر خان يونس 1956م ثم نكسة حرب 1967م حتى أضحى الفلسطينيون الشعب الوحيد في العالم الذي يعيش معظمه في المنفى[3].

2-4 المظلومية التاريخية

تعد المظلومية التاريخية وما يرتبط بها من مفاهيم كمعاداة السامية والهولوكوست من السرديات التي نفخت واستثمرت فيها الصهيونية كثيرا إذ إن الدعاية الممنهجة التي تظهر أن الشعب اليهودي شعب تعرض للظلم عبر التاريخ من الأسس التي بنى عليها الصهاينة حقهم في إنشاء وطن قومي في فلسطين يقيهم الانتهاكات المستمرة في حقهم من جهة ويخلق شعور بالذنب لدى الشعوب الأوروبية والقوى الغربية الكبرى يجعلها تتغاضى عن الجرائم الصهيونية في حق الفلسطينيين والانتهاكات المستمرة للقانون الدولي من جهة أخرى فضلا عن الأسباب العميقة والخفية التي جعلت من مسألة التعايش بين اليهود وغيرهم أمرا أقرب إلى المستحيل[4].

إن قليل من البحث في أسباب النكبات التي تعرض لها اليهود عبر التاريخ يفضي إلى حقيقة أن اليهود مشكلتهم ليست مع الألمان أو الفلسطينيين فقط بل مع كل الشعوب والحضارات التي عاشوا بجوارها عبر التاريخ، فاليهود كانت لهم مشكلات مع الآشوريين ثم

---

[1] – كامل محمود خلة، فلسطين والانتداب البريطاني، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، ط2، 1982، ص63، 596

[2] – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، فلسطين بين مؤامرات الصهيوينية و الاستعمار، الجمهورية العربية المتحدة، ص14-15.

[3] – محمد علي خريبه، الصهيوينة بإيجاز، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، ط1، 2001، ص137.

[4] – نورمان فينلشتاين، صناعة الهولوكوست، تأملات في استغلال معاناة اليهود، تر:سعود عطية، مطابع الهيئة العامة للاستعلامات، 2001، ص13

البابليين والفراعنة والروم والفرس[1] والروس والفرنسيين والإسبان والبريطانيين وحتى الأمريكان الذين توترت علاقتهم مع الروس بسبب أن روسيا القيصرية كانت تدفع اليهود إلى الهجرة إلى أمريكا وهو ما يجعلنا نطرح السؤال البديهي التالي: لماذا أجمعت تقريبا كل الشعوب عبر التاريخ على عدم التعايش مع اليهود دون غيرهم؟

إن الأسباب وراء النكبات المستمرة التي لاحقت اليهود لا تكاد تخفى على أحد فطبائعهم الخسيسة، وخبثهم ومكرهم وحبهم للمال والتعالي والكيد وخلق النزاعات والفتن ونقضهم العهود حتى مع من يحسن إليهم تكاد تكون صفات عامة بينهم ما عدا قلة منهم والأدلة والشواهد على ذلك لا حصر منذ عهدهم الأول فقد قتلوا الأنبياء وأساءوا الأدب مع الله وخانوا العهد مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولما طردهم الإسبان في القرن 15م من شبه الجزيرة الايبيرية استضافهم المسلمون وأحسنوا إليهم ومع أول غزوا أوروبي للعالم الإسلامي كانوا أول المتعاونين مع الغزاة ومن منا لا يتذكر الدور الكبير الذي لعبه بكري وبوشناق في الاحتلال الفرنسي للجزائر[2]، أما أحدث تلك الشواهد ما وقع في المغرب الأقصى إذ لم يمر سوى شهر على معاهدة التطبيع حتى خرجت للعيان فضيحة أخلاقية مدوية بطلها سفير الكيان الصهيوني.

من ناحية أخرى لا يمكن التنكر لحقيقة أن الموروث العقائدي اليهودي الذي ارتكزت عليه الصهيونية من بين العوامل التي تجعل من مسألة تعايشهم مع غيرهم أشبه إلى المستحيل، ومن ذلك أن اليهود يعتبرون كل من لا يعتقد ديانتهم حيوانات ووحوش وشياطين وأنهم أفضل الشعوب وأن غيرهم مجرد خدم لديهم، وغيرها من التعاليم التي تبرر وتحث على انتهاك حق الآخر والتطاول عليه[3].

إلى جانب ما سبق يذهب بعض المهتمين بتاريخ الحركة الصهيونية إلى ما هو أبعد مما سبق حين يعتبرون أن قادتها كانت لهم يد في الاضطهاد الذي تعرض له اليهود في أوروبا خلال الفترة المعاصرة وذلك بقصد دفعهم للهجرة نحو فلسطين خاصة مع التعثر الذي عرفته هذه الهجرة في بداية التأسيس للكيان الصهيوني، ومن الكتاب الذين أيدوا هذه الأطروحة بقوة هينكي كاردل صاحب كتاب "هتلر مؤسس إسرائيل" ودليلهم في ذلك أن بعض قادة الحركة الصهيونية كانوا من المتعاونين مع النازية أو إطارات فيها ومنهم حتى من كان يشرف على معتقلات نازية كما كان الحال مع منحاييم بيغن الذي كان يدير معتقلا للنازية في بولندا، ولا يفوتنا أن نشير إلى معطى مهم هو أن هتلر نفسه أصوله يهودية، ومن الشواهد كذلك على وجود يد صهيونية في الاضطهاد الذي تعرض له اليهود في الفترة المعاصرة ما ذكره رئيس وزراء الكيان الصهيوني بن غوريون عندما قال: "أفضل أن يعيش نصف أطفال اليهود في إسرائيل على أن يعيشوا كلهم في بريطانيا" و هو تصريح لا يحتاج إلى توضيح حول دور الصهيونية في الهولوكوست[4].

---

[1] – كواتي مسعود، المرجع السابق، ص23

[2] – محمد دادة، جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لليهود في الفترة العثمانية، مجلة عصور الجديدة، ع10، جامعة وهران، 2013، ص175.

[3] – سهيلة لغرس، الآخر في الديانة اليهودية والمسيحية، مجلة الساورة، مج8، ع01، جامعة بشار، 2022، ص733-734

[4] – ناصر حمادوش، يهودية هتلر وتحالف النازية والصهيونية، جريدة الشروق الجزائرية، 2022/06/01.

5-2 حركات المقاومة الفلسطينية إرهاب

من الروايات التي تبنتها الصهيونية وعملت خلال عقود على نشرها واعتمدها بكل السبل الممكنة أن حركات المقاومة الفلسطينية حركات إرهابية رغم أن حق الدفاع عن النفس ومقاومة الاحتلال حق طبيعي بنص القانون الدولي المادة في رقم 151[1] ورغم أن القانون الدولي نفسه والهيئات الدولية تقر بالاحتلال الصهيوني للأراضي الفلسطينية إلا أن المؤسسات الرسمية الغربية كلها تتبنى الأطروحة الصهيونية وتتهم كل من يحمل السلاح ضد الاحتلال الصهيوني بالإرهاب في تجسيد ازدواجية المعايير الفاضحة ، ناهيك بأن مصطلح الإرهاب في حد ذاته من المصطلحات المثيرة للجدل التي لم يتم إلى الآن الاتفاق على تعريف قانوني وأخلاقي له بل أصبح مؤخرا مجرد كلمة وفزاعة يطلقها كل من يريد متابعة معارضيه وشرعنة الانتهاكات في حقهم، وكم أطلق هذا المصطلح على مقاومين وثوار وشرفاء فنيلسون منديلا قائد المقاومة الشهير ضد نظام الأبارتايد في جنوب إفريقيا كان على قوائم الإرهاب الأمريكية كمقاوم ثم سجين وحتى عندما أصبح رئيسا ولم يزل اسمه من هذه القوائم إلا سنة 1998م.

3- أدوات السردية الصهيونية

لا تكمن قوة السردية الصهيونية في حجيتها بل في الأدوات الضخمة والإمكانيات المعتبرة التي سخرت لإقناع العالم خاصة الغربي بها ويأتي العلم أدواته على رأسها إذ لم يتوان الصهاينة في إطلاق البحوث الأثرية والتاريخية والأنثروبولوجية لإثبات حقهم في هذه الأرض فعلى سبيل الاستشهاد يقدر حاليا عدد مراكز البحث الخاصة بالعالم الإسلامي في الكيان الصهيوني بحوالي 24 مركزا، أما عدد علماء الآثار في الكيان الغاصب الذي تعداد سكانه 09 مليون نسمة أكثر من ما هو موجود في الولايات المتحدة الأمريكية التي يتجاوز عدد سكانها 300 مليون نسمة، وهو ما يبين الاهتمام الكبير الذي يعنيه الصهاينة بالبحث الأثري وبكل السبل التي من شأنها دعم السردية الصهيونية رغم ضعفها وتناقضها وذلك دون توقف أو ملل خلال أكثر من قرن من الزمن منذ بداية هذه الأعمال عن طريق عالم الآثار التلمودي أولبرايت إلى يومنا هذا[2].

ويعد الإعلام بكل أشكاله رأس الحربة في السردية الصهيونية إذ تمكن الصهاينة خلال عقود من الزمن من فرض سيطرتهم على مختلف وسائل الإعلام خاصة في الغرب إما عن طريق التملك المباشر كما هو الحال مع شبكة سكاي المملوكة للصهيوني ماردوخ أو غير مباشر عن طريق شراء الأسهم أو التمويل والإشهار في القنوات العالمية كـ BBC, CNN وغيرها مما جعلها تتبنى خط واحد داعم للسردية الصهيونية ومتنكر للقاضية الفلسطينية أو ساكت عنها في أحسن الأحوال[3] الأمر الذي ساهم في خلق وعي جماعي لدى الإنسان الغربي بصفة عامة داعم للصهيونية من جهة، وبناء صورة نمطية تعج بالعنصرية والكراهية للإنسان المسلم عموما والفلسطيني المقاوم خاصة من جهة أخرى.

---

[1] – معتز الخطيب، الحرب على غزة بين المقاومة والارهاب، https://www.aljazeera.net/opinions ، 27/10/2023، 11:00

[2] – محمد مرقطن، المرجع السابق.

[3] – سليم حاج سعد، الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية و أثرها على القضية الفلسطينية، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، مج01، ع01، جامعة الوادي، ص08

على صعيد آخر رغم أن المواقع التواصل الاجتماعي لعبت دورا هاما في كسر سيطرة الإعلام التقليدي وصناعة وعي مختلف أقرب للواقع بين الأجيال الصغيرة إلا أنها بدورها لم تخلو من سطوة الصهاينة ونفوذهم وهذا ما ظهر جليا في معركة طوفان الأقصى الأخيرة حيث اتضح التحيز الفاضح من طرف مجموعة ميتا (فيسبوك، إنستغرام، واتساب) للرواية الصهيونية والتضييق المتعمد والممنهج على المحتوى الداعم للقضية الفلسطينية، وحتى تلك الشركات التي أرادت لعب دور حيادي إلى حد ما كشركة إيكس (تويتر سابقا) تعرضت لانتقادات حادة بلغت حد الاتهام بمعاداة السامية لمالكها إيلون ماكس رغم أنه لم يظهر أي دعم للفسطينيين الذين تعرضوا لأبشع جرائم الحرب بمختلف مسمياتها بل أن كثير من الشركات ذهبت إلى حد وقف عقود الإشهار على هذه المنصة.

ليس هذا فقط تعتبر مواقع التواصل الاجتماعي من الأدوات التي خصصت لها حكومة الكيان الصهيوني خطط خاصة منها تكوين فرقة من المعربين تدعى الفرقة 8200 مهمتها التظليل ونشر السردية الصهيونية ومهاجمة المحتوى الفلسطيني، حيث تقوم هذه الفرة بتجنيد الذباب الإلكتروني من داخل الكيان الصهيوني ومن مناطق مختلفة في العالم بقصد استهداف فئات اجتماعية أكبر وخلق دعاية أوسع لصالح الكيان الغاصب، ومن مهامها كذلك زرع النزاعات والنفخ فيها بين العرب والمسلمين (سنة ضد شيعة، مغاربة ضد جزائريين، المصريين ضد الفلسطينيين..)

ومن الأساليب التي ينتهجها الكيان الصهيوني من أجل تروج رواياته، اختراق النخب العربية عن طريق بعض الشخصيات المشبوهة التي تتبنى السردية الصهيونية حرفيا وتروج لها بكل السبل كالكتابات والمقالات والنشاط الجمعوي ومواقع التواصل الاجتماعي خاصة في الدول التي انخرطت في مشروع التطبيع ونذكر من هؤلاء محمد سعود السعودي الذي أضحى أيقونة التواصل بين الكيان الصهيوني والمملكة السعودية والعراقي فاضل الربيعي الكاتب الذي كتب في التاريخ وعلم الآثار وكل أعماله عبارة عن نقل حرفي للسرديات الصهيونية رغم أنه لا علاقة له بالتخصصين السابقين ولا يعلم عنه الانخراط في أي مشروع بحثي ميداني في علم الآثار، والملاحظ أن هذا النوع من الشخصيات المشكوك في طبيعة علاقتها مع الكيان الغاصب تحظى برعاية وعناية خاصة داخل الكيان وفي كل البلدان والمؤسسات المرتبطة به.

4- سبل تفكيك السردية الصهيونية

رغم ضعف السردية الصهيونية وعدم تماسكها أمام الأدلة العلمية والحجج العقلية إلا أنها انتشرت بشكل واسع إلى درجة أنها أضحت الرواية الرسمية المعتمدة خاصة في العالم الغربي حيث مركز الثقل الأقوى لصناعة القرارات في العالم المعاصر ما يعكس حجم الإمكانات التي وضعت لنشر الأكاذيب المؤسسة للكيان الصهيوني، لذلك لا سبيل لمواجهة هذه السردية وإظهار زيفها إلا من خلال مشروع استراتيجي بإمكانات مهمة تأخذ بعين الاعتبار كل ساحات الصراع التي تقوم عليه السردية الصهيونية، ونخص بذلك ما يلي:

- **مسار علمي بحثي**: يشمل البحث في الحقائق التاريخية والأثرية والأنثروبولوجية التي تثبت ارتباط الفلسطينيين بأرضهم وعلاقتهم الوطيدة بها منذ آلاف السنين من جهة وزيف الروايات الصهيونية ومواضع الخلل فيها من جهة أخرى، وتعد جهود سلمان أبو ستة في مواجهة عملية الطمس الصهيوني الممنهج للتراث الفلسطيني مثال يحتذى به في هذا السياق، إذ يعد كتابه " **طريق العودة؛ دليل المدن والقرى المهجرة والحالية والأماكن المقدسة في فلسطين**" من الأعمال الخالدة التي تمكن من خلالها رصد وإحياء تراث مئات القرى والتجمعات السكانية الفلسطينية التي تعرضت للطمس من طرف الكيان الصهيوني الغاصب.

ورغم أهمية أعمل سلمان أبو ستة إلا أنها لا تعتبر كافية أمام حجم التظليل والتشويه الذي طال التراث الفلسطيني لذلك نهيب بكل المتخصصين والمهتمين بعلم الآثار والتاريخ والأنثروبولوجيا والطبونيميا من أبناء الأمة الإسلامية أن يهبوا هبة واحدة لنصرة إخوانهم في فلسطين كل من ثغره الذي عليه ولا يقل ذلك في شيء عن واجبات النصرة الأخرى للأخ المظلوم.

- **مسار بحثي ديني لاهوتي**: ويشمل الدراسة والبحث المعمق في النص التوراتي والتلمودي ومرتكزات الصهيونية العقدية من أجل كشف زيفها ومواطن تناقضها، وحمولتها المؤسسة للعنف وعدم التعايش مع الآخر وعلاقتها بالصراعات اللامنتهية التي تخوضها الصهيونية في العالم.
- **مسار إعلامي تعبوي**: يرتكز على انخراط جماعي من الجهات الرسمية وغير الرسمية المؤمنة بعدالة القضية الفلسطينية في استخدام كل وسائل الإعلام الممكنة التقليدية كالتليفزيون والإذاعة والجرائد وغير التقليدية كمواقع التواصل الاجتماعي، فضلا عن الاعمال الفنية والروائية والسينيمائية من أجل إظهار الوجه الدموي الإجرامي للصهيوينة وكذب الرويات المؤسسة لها، كما يجب أن لا يغفل أهمية استضافة واحتواء الباحثين اليهود المشتغلين بمواجهة الصهيونية ونشر أعمالهم ونذكر من هؤلاء إيلان بابيه صاحب كتاب "عشر خرفات مؤسسة لإسرائيل"، ونرومان فينكشتاين صاحب كتاب "صناعة الهولوكوست" وذلك قصدَ إضفاء مصداقية أكبر على جهود مواجهة السردية الصهيونية بما يتجاوز المواجهة بين المسلمين واليهود كا تسوقه آلة الدعاية الصهيونية إلى المواجهة بين الحق والباطل.
- **مسار تمويلي**: يقوم على توفير الدعم المادي المستمر لكل الجهود الموجهة لمقاومة وتفكيك السردية الصهيونية وذلك عن طريق عمل منظم يستهدف إنخراط كل المؤمنين بالعمل على تحرير فلسطين في اشتراك مالي منتظم، لأنه لا سبيل بتحقيق المسارات السابقة إلا من خلال مورد مالي كافي يمول جهوج مقاومة السردية الصهيونية.

5- خاتمة

ختاما ما يكن استنتاجه هو أن السردية الصهيونية كلها مبنية على التلفيق والكذب وقلب الحقائق وطمس معالمها عبر مشروع خبيث سخرت له إمكانات كبيرة مادية ودعائية ، ومما يميز هذه السردية كذلك أنها حاولت في البداية الاستناد على بعض الأسس البحثية العلمية والمنهجية عبر مشاريع بحث تاريخية وأثرية إلا أن الحقائق الصادمة التي نتجت عن هذه الجهود والتي تنافي السردية الصهيونية دفع الصهاينة إلا مرحلة أخرى تقوم على الدعاية الإعلامية وصناعة الوعي المفبرك كوسيلة لقلب الحقيقة ضمن استراتجية تعتمد على تكرار الكذب بشكل ممنهج حتى يتحول إلى حقيقة في وعي الآخر، خاصة أن الجماهير وحتى النخب السااياسية في معظمها تستند إلى وسائل الإعلام والدعاية في تشكيل وعيها في حين أن البحث العلمي الذي من شأنه كشف الحقائق بقي دائما سجين الأوساط الأكاديمية.

مما خلصنا إليه كذلك أن قوة السردية الصهيونية تكمن أساسا في التخطيط المحكم وإخلاص المنتمين إلى المشروع الصهيوني الذين لم يتوانوا في تسخير كل الإمكانات لانجاح هدفهم في إنشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين، بما في ذلك التمكين للسردية الصهيونية عبر تملك وسائل الإعلام العالمية والسيطرة على شركات التواصل الاجتماعي واختراق النخب الحاكمة والمؤثرة والتمويل السخي المستمر من كبرى الشركات العالمية، كل هذا في مقابل انعدام مشروع مقابل في العالم الإسلامي.

وتجدر الإشارة إلى أنه لا سبيل لمواجهة السردية الصهيونية وكشف زيفها إلى من خلال استراتيجية متكاملة وخطة واضحة تأخذ بعين الاعتبار البعد العلمي البحثي وأدواته المختلفة التي من شأنها البحث في الحقائق والحجج الدالة على أكاذيب الرواية الصهيونية والبعد التعبوي الإعلامي الذي يستهدف نشر الحقيقة وتغيير القناعات المشوهة حول القضية الفلسطينية، فضلا عن البعد المالي باعتباره ضرورة قصوى لتمويل جهود مواجهة السردية الصهيونية وفضح أكاذيب الآلة الصهيونية الدعائية.

قائمة المراجع

1- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، فلسطين بين مؤامرات الصهيوينية و الاستعمار، الجمهورية العربية المتحدة.
2- إيلان بابيه، عشرة خرفات عن إسرائيل، تر: سارة عبد الحميد، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2018.
3- إيلان بابيه، التطهير العرقي في فلسطين، تر: أحمد خليفة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2006.
4- سليم حاج سعد، الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية و أثرها على القضية الفلسطينية، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، مج01، ع01، جامعة الوادي.
5- سهيلة لغرس، الآخر في الديانة اليهودية والمسيحية، مجلة الساورة، مج8، ع01، جامعة بشار، 2022.
6- كامل محمود خلة، فلسطين والانتداب البريطاني، ط2، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 1982.
7- محمد دادة، جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لليهود في الفترة العثمانية، مجلة عصور الجديدة، ع10، جامعة وهران، 2013.
8- محمد علي خريبه، الصهيونية بإيجاز، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، 2001.
9- محمد مرقطن، أنبياء اليهود في السردية الصهيونية وأذنابها العرب، .https://www.youtube.com/live/X8pbfsPxaN4?si=h94sTs5LW5_KyReO
10- معتز الخطيب، الحرب على غزة بين المقاومة والارهاب،https://www.aljazeera.net/opinions
11- مسعود كواتي، اليهود في المغرب الاسلامي من الفتح الى سقوط دولة الموحدين، دار هومة، الجزائر، 2009.
12- ناصر حمداوش، يهودية هتلر وتحالف النازية والصهيونية، جريدة الشروق الجزائرية، 2022/06/01.
13- نجيب نصار، الصهيونية، ملخص تاريخها، غايتها، امتدادها حتى 1905، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012.
14- نورمان فينلشتاين، صناعة الهولوكوست، تأملات في استغلال معاناة اليهود، تر:سعود عطية، مطابع الهيئة العامة للاستعلامات.

6- References

1- al-Majlis al-A‘lá lil-Shu’ūn al-Islāmīyah, Filasṭīn bayna mu’āmarāt alṣhywynyh wa al-isti‘mār, al-Jumhūrīyah al-‘Arabīyah al-Muttaḥidah
2- iylān bābyh, ‘ashrah khrfāt ‘an Isrā’īl, tara : Sārah ‘Abd al-Ḥamīd, Ṭ1, al-Mu’assasah al-‘Arabīyah lil-Dirāsāt wa-al-Nashr, Bayrūt, 2018.
3- iylān bābyh, al-taṭhīr al-‘irqī fī Filasṭīn, tara : Aḥmad Khalīfah, Mu’assasat al-Dirāsāt al-Filasṭīnīyah, Bayrūt, 2006.

4– Salīm Ḥājj Sa‘d, al-Di‘āyah al-Ṣihyūnīyah fī al-Wilāyāt al-Muttaḥidah al-Amrīkīyah wa athrhā ‘alá al-qaḍīyah al-Filasṭiniyah, Majallat Qabas lil-Dirāsāt al-Insānīyah wa-al-Ijtimā‘īyah, mj01, ‘01, Jāmi‘at al-Wādī.

5– Suhaylah li-Ghars, al-ākhar fī al-diyānah al-Yahūdīyah wa-al-Masīḥīyah, Majallat alsāwrh, mj8, ‘01, Jāmi‘at Bashshār, 2022.

6– Kāmil Maḥmūd khlh, Filasṭīn wa-al-intidāb al-Barīṭānī, ṭ2, al-Munsha’ah al-‘Āmmah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘ wa-al-I‘lān, Lībiyā, 1982.

7– Muḥammad dādh, jawānib min al-ḥayāh al-iqtiṣādīyah wa-al-Ijtimā‘īyah wa-al-siyāsīyah lil-Yahūd fī al-fatrah al-‘Uthmānīyah, Majallat ‘uṣūr al-Jadīdah, ‘10, Jāmi‘at Wahrān, 2013.

8– Muḥammad ‘Alī khrybh, al-Ṣihyūnīyah bi-ījāz, Ṭ1, Maktabat al-Malik Fahd al-Waṭanīyah, al-Sa‘ūdīyah, 2001.

9– Muḥammad mrqṭn, Anbiyā’ al-Yahūd fī al-sardīyah al-Ṣihyūnīyah w’dhnābhā al-‘Arab, https : / / www. youtube. com / live / X8pbfsPxaN4? si=h94sTs5LW5 _ KyReO

10– Mu‘tazz al-Khaṭīb, al-ḥarb ‘alá Ghazzah bayna al-muqāwamah wa-al-irhāb, https : / / www. aljazeera. net / opinions

11– Mas‘ūd Kuwātī, al-Yahūd fī al-Maghrib al-Islāmī min al-Fatḥ ilá suqūṭ Dawlat al-Muwaḥḥidīn, Dār Hūmah, al-Jazā’ir, 2009.

12– Nāṣir ḥmdādwsh, Yahūdīyah Hitlir wtḥālf al-Nāzīyah wa-al-Ṣihyūnīyah, Jarīdat al-Shurūq al-Jazā’irīyah, 01/06/2022.

13– Najīb Naṣṣār, al-Ṣihyūnīyah, Mulakhkhaṣ tārīkhuhā, ghāythā, amtdādhā ḥattá 1905, Mu’assasat Hindāwī, al-Qāhirah, 2012.

14– nwrmān fynlshtāyn, ṣinā‘at al-Hūlūkūst, Ta’ammulāt fī istighlāl Mu‘ānāt al-Yahūd, tara : Sa‘ūd ‘Aṭīyah, Maṭābi‘ al-Hay’ah al-‘Āmmah lil-Isti‘lāmāt.